

## فروع الدراسات اللغوية

ولا بد قبل الدخول إلى المشكلات المنهجية أن نأخذ فكرة عن علم اللغة ، وما يضم من فروع أحدثها تطور الدراسات اللغوية في العصر الحديث ، وقد سبقت إشارة إلى هذه الفروع ، ولكن الأمر يحتاج إلى مزيد إيضاح .

فعلم اللغة يتناول ابتداء - البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية . ومادار حولها من فروض ، وتخمينات ، وأقاصيص ، وذلك الفرع من الدراسة يسمى : ( أصل اللغة : Origine du Langage ) ، وكذلك البحوث المتعلقة بحياة اللغة ، ونموها ، وتطورها ، وانقسامها إلى لهجات ، وهجراتها ، وشيخوختها ، وانقراضها أو موتها ، وذلك هو مبحث ( حياة اللغة Vie du Langage ) وقد يتفرع عن هذا الجانب ( علم اللهجات La Dialectologie ) . كما يتصل به علم الاشتقاق التاريخي Etymologie ، وهو يبحث عن أصول الكلمات في مختلف لغات الفصيلة الواحدة ، في إطار الدراسات المقارنة ، وكل ذلك من علم اللغة التاريخي .

أما اللغة في ذاتها فهي عبارة عن أصوات ذات دلالة - على ما سبق ، فالأصوات يتولاها بالدراسة علم خاص هو : علم الأصوات ، وهو يشمل مستويين من الدراسة :

المستوى الأول : ( علم الأصوات العام La Phonétique ) .

والمستوى الثانى : علم الأصوات فى سياقها ، أو علم الأصوات  
التشكيلى ( La phonologie ) .

أما دلالات هذه الأصوات فيتولاها بالدراسة علم خاص بها هو ( علم  
الدلالة La Sémantique ) ، ولقد يتفرع عن هذا العلم عدة جوانب من علم  
اللغة ، كالبحث فى المفردات ومعانيها ، وهو ( علم المفردات أو المعاجم -  
La Lexicologie ) أو البحث فى القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات  
وتصريفها ، وتغير أبنيتها تبعاً لتغير معناها ، وهو ( علم بناء الكلمة أو علم  
الصرف La Morphologie ) .

والمراد بالمورفولوجيا هنا هو علم الصرف بالمعنى العام ، لا مجرد التصريف ،  
أو البحث فى أقسام الكلمات ، وعلاقات كل قسم بغيره من الأقسام ،  
والقواعد التى تخضع لها أجزاء الجملة ، وأثر كل جزء منها فى غيره ، وطرق  
ربط أجزاء الجملة ، وربط الجمل بعضها ببعض ، وهو . ( علم التراكيب :  
La Syntaxe ) ويتصل بهذا العلم ما يعرف فى العربية ( بعلم النحو  
La grammaire ) .

ويتفرع أيضاً عن علم الدلالة البحث فى فنون الأساليب ( شعرية ونثرية  
وخطابية وروائية ) ، وهو ( علم الأسلوب La Stylistique ) ، وكل ذلك  
من علم اللغة الوصفى .

وقد أضاف البحث الحديث عدة فروع أخرى لعلم اللغة ، كالبحث  
الخاص بملاقة الظواهر اللغوية بالظواهر الاجتماعية ، وهو موضوع ( علم  
الاجتماع اللغوى : La Sociologie linguistique ) ، وكالبحث الخاص بملاقة

الظواهر اللغوية بأحوال النفس ، وهو موضوع ( علم النفس اللغوى  
( La psychologie linguistique ) .

وهناك البحث فى علاقة الظاهرة اللغوية بالمكان ، وهو علم اللغة  
الجغرافى : La Linguis. géographique ، وهو يمثل الآن قسما رئيسيا من  
علم اللغة .

وكل هذه البحوث قد تنضوى تحت اسم La philologie ، توسعا ،  
ولكن الاسم الذى يدل عليها مباشرة هو La linguistique ، أو علم اللغة .

## دراسة في على الأصوات

أولا : موضوع الأصوات العام :

هذا الإيجاز السريع لفروع الدراسات اللغوية يفيدنا في الإلمام بمحدودها المترامية ، إلماما متواضعا . ولكن كل فرع منها يحتاج إلى شيء من الوضوح يساعد على تصور مجاله .

وأهم ما تبدأ به الدراسات اللغوية الحديثة بعد الإلمام بمجالها ، أن تدرس المستوى الصوتي للغة ، فهذا المستوى الصوتي هو الأساس الذي يقوم عليه بناء مفرداتها وصيغها وتراكيبها ، بل وأدبها كله ، شعرا ونثرا . لذلك كان لابد لدارس اللغة من دراسة أصواتها .

وقد وجدنا أن ( علم الأصوات ) يتناول مستويين في محاولاته :

المستوى الأول هو علم الأصوات المجردة أو الفوناتيک .

وهذا الجانب من الدراسة الصوتية يبدأ بدراسة التكوين التشريحي للجهاز النطقي ، ابتداء من الحجاب الحاجز : أسفل الرئتين ، إلى الشفتين ، فهو يدرس هذه الأجزاء دراسة تشريحية ، ثم بعد ذلك يدرس وظيفتها المباشرة في إنتاج الأصوات ، سواء بدفع الهواء ، أو بحبسه ، أو بالسماح له بأن يمر محتكا في موضع الصوت ، كما يدرس وظيفتها غير المباشرة ، من حيث كانت بعض التجاويف في الرأس وفي الصدر بمثابة ( غرف رنين ) ، أشبه بقصعة العود أو الكمان ، تجمع للصدى ، وتشكل الصوت . وأي تغير

أو عطب في غرف الرنين الإنسانية ، كالزكام ، أو الرشح ، أو اللحمية مثلاً ، يؤثر تأثيراً مباشراً على طابع الصوت .

ويقنول هذا الجانب أيضاً دراسة الصوت ومكوناته أو عناصره الأساسية ، من حيث عدد الذبذبات وطبيعتها . وتكونها في هيئة موجات هوائية ، وهو بذلك يستخدم (علم الطبيعة الصوتية Acoustique) ، كما يستخدم عدة أجهزة للتسجيل وللقياس الإلكتروني ، وفي مقدمتها جهاز Sona graph ويدرس هذا الجانب أيضاً صفات الصوت المثالية ، من جهر وهمس ، وانفجارية واحتكاكية ، وانطلاقية ، وانتقالية ، وذلك على مستوى استعمال الإنسان للغة ، أية كانت اللغة .

### ثانياً : موضوع الأصوات التشكيلية :

أما الجانب الثاني فإنه يدرس الصوت في سياقه ، ولذلك يطلق عليه ( علم الأصوات التشكيلية ) ، أو الفونولوجيا ، الذي يدرس النظم الصوتية للغة معينة ، وكما ينطقها أصحابها في ممارستهم اليومية .

ولا شك أن الصوت في سياقه يختلف عن الصوت المجرد ، من حيث كمية الجهد اللازمة لإنتاجه ، ومن حيث تأثيره بالأصوات السابقة عليه ، واللاحقة به ، ولهذا التأثير قوانين عامة ، في جميع اللغات ، بحيث نجد أن صوتاً كالنون مثلاً في العربية قد ينطق على سبع صور ، بحسب الصوت التالي له ، وكل هذه الصور أعضاء لفونيم واحد هو ( النون ) وكلمة ( فونيم ) معناها ( الوحدة الصوتية ) ، التي تأخذ عدة صور باختلاف المواقع المؤثرة فيها .

ولسوف نقدم فيما بعد دراسة مفصلة لفكرة ( الفونيم ) ، والمدارس التي حاولت تفسيرها على أسس مختلفة .

## (المقطع العربى) :

كذلك يدرس هذا العلم البناء المقطعى للغة ، وهو بناء يختلف من لغة إلى لغة أخرى ، ومن الأمثلة على ذلك أن المقطع ، وهو تقسيم طبيعى ، فوق البسيط ، للحدث اللغوى ، لا يمكن أن يتكون فى اللغة العربية من أصوات صوامت فحسب ، كما لا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين ، ولا بحركة ، ولإيضاح ذلك تستعرض أشكال المقطع العربى الأساسية ، والثانوية . وقد عرفت العربية ثلاثة أشكال أساسية هى على التوالى :

١ - مقطع قصير ، ويتكون من صامت + حركة قصيرة ، مثل الكاف وحركتها فى كتب - Ka .

٢ - مقطع طويل مفتوح ، ويتكون من صامت + حركة طويلة ، مثل : الكاف والألف فى كتاب Kaa .

٣ - مقطع طويل مقفل ، ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت مثل : الأداة كم Kam .

هذه المقاطع الثلاثة هى التى يتكون منها الكلام العربى المتصل ، ولا بد لكل كلام عربى أن ينتهى فى التحليل الأولى للصيغ إلى هذه المقاطع ، كلها أو بعضها .

وهناك صورتان مقطعتان تردان فى النطق ، فى حالة الوقف غالباً ، وهما :

٤ - مقطع مديد مقفل بصامت ، ويتكون من :

صامت + حركة طويلة + صامت ، مثل النطق بالفعل ( كان Kaa )

٥ — مقطع مديد مقفل بصامتين ، ويتكون من :

صامت + حركة قصيرة + صامتين ، مثل النطق بكلمة (قَدْر - qadr) .

وهذان المقطعان يعرضان في العربية في حالة الوقف غالباً ، كما إذا وقفنا على كلمة : (مسلمين) وهي مكونة من ثلاثة مقاطع أرقامها هي (٣ و ١ و ٤) . وكما إذا وقفنا على كلمة (القدر) ، وهي مكونة من مقطعين (٣ و ٥) . وإنما اشترطنا حالة الوقف ، لأن وصل الكلمة بما بعدها يحتاجني معه هذان الشكلان المقطعيان قطعاً ، وقد يأتي المقطع الرابع وسط الكلمة استثناء في مثل الكلمات : (ولا الضالين) (والحاج محمد) الخ .

ونستطيع أن نخرج من هذا التحديد بمجموعة الخصائص البنيوية التي يجب أن تتوفر للمقطع العربي :

١ — يجب أن يبدأ بصامت .

٢ — يجب أن يثنى بحركة .

٣ — تختلف المقاطع بعد ذلك في العنصر الثالث ، الذي لا وجود له في المقطع الأول ، وهو حركة في الثاني ، وصامت في الثالث .

ومقتضى ذلك أن الكلمة العربية لا تحتل في أولها صامتين ، وإن كانت تحتلها في وسطها ، في مثل : يكتب yaktub — حيث تتجاوز السكاف والتاء ، وبحيث إن السكاف نهاية المقطع الأول ، والتاء بداية المقطع الثاني . والعربية إذن لا تقبل تجاوز ثلاثة صوامت ، بله أربعة ، فإذا اجتمعت ثلاثة وسط الكلام وجب تحريك أحدهما ليرتد النسيج النطقى إلى الأصل المقبول ، وهو ما يسميه النحاة « التحريك للتخلص من التقاء الساكنين » ، أو هو بتعبيرنا : التحريك للتخلص من تجاوز ثلاثة صوامت .

هذا الشكل البنيوي في النطق يفرض على الناطق مبدأ التحريك ، وبقي عليه أن يختار الحركة الصحيحة في موقعها ، إن كانت حركة لمبني أو لمعرب . وكل هذه المحاذير اللازم تجنبها في المقطع العربي مقبولة كلها في اللغات الأوربية .

فالإنجليزية مثلا تنطق الكلمة مبدوءة بصوامت دون حركة تفصل بينها مثل (street) ، ففيها السين والتاء (st) تعقبهما الراء المتحركة بحركة (ee) ، وهذا التكوين البنيوي للكلمة لا يمكن أن يأتي في العربية . وكذلك يأتي داخل الكلمة ثلاثة صوامت بل أربعة مثل abstraction, construction ، وقد تعود اللسان الإنجليزي أن ينطق بها دون صعوبة .

كذلك لا يمكن أن تبدأ الكلمة في العربية بحركة شأن الكلمة الإنجليزية important فإذا كان لابد من البدء بحركة في أول الكلمة اجتلبت قبلها همزة ، ليكون البدء بمتحرك أعنى : ( صامت + حركة ) مثل : كتب — Kataba يكتب yaktubu فإن صوغ الفعل الأمر من المضارع يقتضى إسقاط ياء المضارعة (ya) فيبقى لصيغة الأمر بنية ( كُتب Ktub ) ولما كان من العسير النطق بالصامتين ( الكاف والتاء ) في بداية الكلمة فإن من الطبيعي الإتيان بحركة قبل الكاف على هذه الصورة (uKtub) ، ولكن محذورا آخر سوف يحدث ، وهو وجود حركة في بداية المقطع الأول من الكلمة ، فكانت همزة الوصل هي الصوت المساعد للنطق بالمجموعة الممنوعة في بناء اللغة العربية ، وقد توصلت إلى هذا الحل الفطرة العربية السليمة التي نطقت الفعل ( أكتب ) uktub ؟ ولذلك ( سميت همزة الوصل ) ، أى : التي يتوصل بها وبحركاتها إلى النطق بصامتين تبدأ بهما الكلمة .

فإذا ورد الفعل أحيانا في سياق لا يتطلب هذه الهمزة سقطت مع حركتها ، وذلك مثل : قَالَ كَتَبَ ( qaalā ktub ) وإن لزم رسم ألف الموصول لإملائها .

ولسنا نريد أن نسرف في التعليق أكثر من هذا ، ولكن القارىء يستطيع أن يتصور ما لم يرد في هذا الحديث قياسا على ما أشرنا إليه .

### النبر والتنغيم :

ومن البحوث التي يتناولها علم الأصوات التشكيل ( الفونولوجى ) ظاهرة النبر أو الضغط stress أو accent وهي ظاهرة أو خاصية صوتية تميز الناطق بلغة أو لهجة معينة عن غيره من الناطقين بلغة أخرى ، أو لهجة مخالفة .

وقد نلاحظ ذلك بين لغتين ، في نطق كلمة accent في الإنجليزية ، حيث يكون الضغط على المقطع الأول sc/cent على حين يضغط الناطق الفرنسى على المقطع الثانى في نفس الكلمة . كما نلاحظ هذا الضغط لدى الناطق لكلمة ( مدرسة ) إذا كان من القاهرة ، فنجد أنه واقعا على قطع الراء (ra) من mad tra sat على حين يضغط الناطق من بنى سويف مثلا على المقطع الأول من نفس الكلمة .

وقد أكدت البحوث الحديثة أهمية هذه الظاهرة في دراسة ظواهر اللغة العربية القديمة ، كما أنها من أهم ما يعنى به الدارسون للهجات المعاصرة .

كذلك يتناول علم الأصوات التشكيلى ظواهر التنغيم ، وطول الصوت وقصره في بعض السياقات ، سواء أكان طوله سمفة أساسية له أم صفة عارضة ، إلى غير ذلك من الموضوعات التي تزرع بها المؤلفات المتخصصة .

## صوغ الكلمات بين العربية وغيرها :

وينتقل علم اللغة بعد ذلك إلى دراسة بناء الكلمة ، والقوانين التي تحكم في هذا البناء ، من لغة إلى أخرى ، فيدرس أنواع الاشتقاق ، وطرق الصياغة ، ووضع السوابق واللواحق في كل حالة من هذه الحالات ، والتغيرات الصرفية الناشئة عن تجاور الأصوات ، وقضايا الإعلال والإبدال .

فإذا انتهى من هذا المستوى البنيوي انتقل إلى دراسة المعنى الذي يتضمنه . فيما أطلق عليه ( علم الدلالة ) أو ( علم السيمانتيك ) ، وهو موضوع تخصصت له دراسات عميقة وجادة ، في اللغات الأوروبية ، كما بدأ يأخذ مكانه في الدراسات العربية المعاصرة .

على أن لنا ملاحظة عامة عن الطريقة التي يتم بها صوغ الكلمات في العربية الفصحى ، ينبغي أن يلم بها القارئ ، وهي طريقة يتم على أساسها تحديد المعنى الأصلي للكلمة ، وما يشتق منها ، فلاغة ، أية لغة ، طريقتان أساسيتان في صوغ الكلمات :

١ - طريقة الإلصاق . ٢ - طريقة التحول الداخلي .

والطريقة الأولى متبعة في اللغة الفرنسية ، حيث يكون للكلمة ( ثابت radical- ) يدل على المعنى الأصلي ، ثم تأتي السوابق واللواحق لتعطينا الصور المختلفة للكلمة ، لتدل على المعاني المختلفة ، مثال ذلك : الثابت (sabl) تضاف إليه اللاحقة (e) فيصبح (sable) بمعنى رمل ، وتضاف إليه اللاحقة (er) فيصبح (sabler) ليفيد معنى الفعل ، وتضاف إليه اللاحقة (erie) فيصبح (sablerie) ليدل على المكان ، وهذه كلها لواحق .

وتضاف إلى فعله السابئة (en) ، فيصبح (en sabler) ، ثم تضاف إلى هذا الفعل السابئة (des) ، فيصبح (desensabler) ويأتى من هذا الفعل عن طريق تغيير اللاحقة كلمة (desensablement) وهكذا .

وبناء على هذا التغير فى السوابق واللاحق يتغير المعنى ، غير أن الثابت (sabl) لم يتغير مطلقا ، كما رأينا .

أما الطريقة الثانية فهى المتبعة فى العربية ، وذلك أن مادة الكلمة فيها تتكون من مجموعة من الصوامت ، ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة ، ثم يرد على هذه الصوامت مصوتات أو حركات متغيرة ، وهى التى تؤدى لنا الصور المختلفة ، ذات المعانى المختلفة أيضا .

ومثال ذلك المادة ( ك ت ب - Ktb ) وهى توفر لنا الأساس الذى نبني منه الكلمات بواسطة إقصاء الحركات داخل أجزائها ، أى بين الصوامت ، فإذا وضعنا مصوت الفتحة (a) بعد الصامت الأول والثانى هكذا ( كتب Katab ) تكون لنا الفعل الماضى . وإذا غيرنا هذا الصوت إلى ضمة مثلا (u) هكذا ( كُتِبَ Ktub ) أفادنا هذا التكوين معنى آخر غير فعلى هو جمع ( كتاب ) .

وإذا جعلنا مكان الضمتين ضمة وكسرة (u-i) أفادنا هذا التكوين معنى آخر هو معنى الفعل المبني للمفعول ، فى مقابل المبني للفاعل هكذا ( كُتِبَ Kutib - ) .

وكل هذه الاختلافات جارية فى نوع المصوتات ، أو طابعها . فإذا كان الاختلاف فى كيتها حدثت صيغ كثيرة أخرى ، ومثال ذلك أن نضيف

كسره قصيرة وفتحة طويلة (i-aa) هكذا : (كتاب - Kitaab) لتنفيذ الصيغة الحاصلة معنى ذلك التأليف المكون من صفحات مقروءة ، وإذا عكسنا ترتيب هذين الصوتين هكذا (aa-i) في مثل كاتب (Kaatib) أفادتنا الصيغة معنى مختلفا هو الشخص المتصف بالكتابة ، وهكذا .

وقد يزيد في الصيغة وجود أحد الصوامت الأصول ، كتضعيف التاء من كلمة (كُتَّاب - Kuttaab) جمعا الكلمة (كاتب) ، ومع ذلك يظل الأصل ثابتا غير منتقص .

ليس معنى هذا أن العربية جهلت طريقة الإلصاق ، فقد يأتي من هذا الأصل نفسه كلمات : (مكتوب ، ومكتوبة ، ومستكتب ، واكتتاب) ، وفيها سوابق ، ولواحق ، وحشوف وسط المادة . وفي العربية عدد غير قليل من هذه اللواحق ، بالإضافة إلى اعتمادها على طريقه التحول في المصوتات ، وهي الطريقة التي أفادتنا وفرة في الصيغ ، وثروة في الكلمات ، وكثرة في الصور المشتقة من أصل واحد ، وهو أمر لم تعرفه لغة أخرى غير العربية ، وبخاصة في جمع التكسير .

فإذا جئنا إلى المعنى المتولد من هذه الصور وجدناه محدداً تحديداً قاموسيا في المعاجم ، ولكن المجتمع والتطور التاريخي للغة ، كما يحدث تأثيره في الكلمة ، يحدث تأثيره في معناها ، فيضيف إليها ، وينقص فيها .

ومن امثله الزيادة في المعنى كلمة : (وطن) فإن معناها الاجتماعي المشع بالنسبة إلى غريب عن بلده يزيد كثيرا عن معناها القاموسى . وكلمة (فقيه) تعنى في الأصل أعلى قمة يبلغها العالم في مادته ، وبخاصة في ميدان التشريع ، ولكنها الآن قد ابتدأت خاصتها البيانية ، فأصبحت تدل على ذلك المتسكع في المقابر ، وهكذا انحطت دلالاتها ، وهي في طريقها إلى الانقراض ، بانقراض ( ٨ - في علم اللغة العام )

هذه الطبقة من المتسكعين . ولهذا العلم ( علم الدلالة ) تطبيقات وأصول في العربية ، وفي العاميات المعاصرة .

\* \* \*

على أن من الضروري أن نقدم هنا بحثاً مفصلاً عن أهم موضوعات علم الفونولوجيا ، تقدمه أولاً كنموذج لبحوث هذا العلم ، يكشف عن ثرائه ، وثانياً لأن أى كتاب من الكتب التى تناولت بحوث علم اللغة لم يستوعب الحديث فيه على نحو كافٍ وشافٍ . هذا الموضوع هو ( نظرية الفونيم ) ، وسوف نحاول ألا ندع فكرة مهمة دون أن نذكرها ملخصة أو مفسرة ، تبعاً لإدراكنا لأهمية هذا أو ذاك .